الحِكَمُ الرِّفاعِيَّةُ

للإمام أحمد الرفاعي

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

أَرْسلَ الشّيخُ عبد السميع الهاشمي إلى الإمام أحمد الرفاعي يطلب منه نصيحة كافية في الدين. فبعث الإمام الرفاعي إليه بهذه الرسالة المباركة التي بين أيدينا. والإمام الرفاعي لم يعمد إلى صياغة حِكَمٍ ، ولكن رسالته جاءت عميقة في معانيها أنيقة في مبانيها ، جامعة لخلاصة شافية من الإرشاد النبوي الشريف ، غمرها نور من إرث النبوة وجوامع الكلم ، وجملة مباركة من معاني السلوك والإقبال على الله الذي ربى عليه الإمام الرفاعي أحبابه وأبناءه وما استودعه الله في قلبه من علوم وعرفان. فصدق من سماها (الحكم الرفاعية) ، وصدق ربنا إذ يقول : (يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا). فلإخواننا الراغبين في السلوك إلى الله والتعرف على منهج التصوف ، ولكل مسلم راغب في تزكية نفسه ، نقدم هذا الكتاب. وفي الختام ، نرجو الدعاء ممن يقف عليه ، ونسأل الله القبول وأن يوفقنا والمسلمين جميعا للعلم والعمل والإخلاص ، والله مولانا ، وهو حسبنا.

د. سعد عبد العزيز غنيم وأولاده

السادس من جمادى الأولى ١٤٤١هجرية

الأول من شهر يناير عام ٢٠٢٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمينَ ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعينَ، والسَّلامُ عَلَيْنا وعلى عِبادِ اللهِ الصَّالِحِينَ. مِنْ العَبْدِ اللاشيء أُحَيْمِدُ إلى الشَّيْخِ الْمُحْتَشِمِ أَخينا عَبْدِ السَّميعِ الهاشِمِيّ كانَ اللهُ لَنا ولَهُ ولِلمُسْلِمينَ آمينَ.

أَيْ أَخي ،

أُوصيكَ بِتَقْوى اللهِ واتِّباعِ سُنَّةِ رَسولِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُحِبُّ أَنْ تَحْرِصَ على نَصيحَتي هَذِهِ ، فَهِيَ نافِعَةٌ لَكَ ولِأَمْثالِكَ إِنْ شاءَ اللهُ وإِيّاكَ أَنْ تودِعَها غَيرَ أَهْلها فَتَظْلِمَها.

أَيْ عَبْدَ السَّميع ،

الفَقيرُ اذا انْتَصَرَ لِنَفْسِهِ تَعِبَ ، وإذا سَلَّمَ الأَمْرَ إلى اللهِ تَعالى نَصَرَهُ مِنْ غَيْرِ عَشيرَةٍ ولا أَهْلٍ.

العَقْلُ كَنْزُ الفَوائدِ وكيمياءُ السَّعادةِ.

العِلْمُ شَرَفٌ في الدُّنْيا وعِزٌّ في الآخِرَةِ.

ما أَقامَ مَعَ المسْتَعارِ إلا المحْجُوبُ.

لَيْسَتْ النَّائِحَةُ الثَّكلى كالنَّائِحَةِ المسْتأْجَرَةِ.

كَمْ طَيَّرَتْ طَقْطَقَةُ النِّعالِ حَوْلَ الرِّجالِ مِنْ رَأْسٍ وكَمْ أَذهَبَتْ مِنْ دينٍ.

لَفظَتانِ ثُلْمَتانِ في الدّينِ : القَوْلُ بالوَحْدَةِ والشَّطْحُ المجاوِزُ حَدَّ التَّحَدثِ بالنِّعْمةِ.

دَفْتَرُ حَالِ الرَّجُلِ أَصْحابُهُ.

تَعِبَ النّاسُ وحِسابُهُمْ على الرِّئاسَةِ والشَهْوَةِ ، وفيهِما الغاياتُ.

كُلُّ حَقيقَةٍ خَالفَتْ الشَريعَةَ فَهِيَ زَنْدَقَةٌ.

غَايةُ المعْرِفَةِ باللهِ الإيقانُ بِوجودِه بِلا كَيْفٍ ولا مَكانٍ.

ثِقَلُ مَرَضِ المَوْتِ أَوَّلُ قَناطِرِ المعْرِفَةِ باللهِ عِنْدَ المحْجوبينَ ، ولِهذا قيلَ لَنا موتوا قَبْلَ أَنْ تَموتوا.

حَضْرَةُ الموْتِ تَكْشِفُ الحُجُبَ ، كما وَرَدَ : النَّاسُ نِيامٌ فاذا ماتوا انْتَبَهوا.

كُلُّ تَوْحيدِكَ قَبْلَ تنْزيهِهِ تَعالى شِرْكٌ.

التَّوْحيدُ وِجْدانٌ في القَلْبِ يَمْنَعُ عَنْ التَّعْطيلِ والتَّشْبيهِ.

رُحْ وتَعالْ ، كُلُّكَ خَيالٌ. انْزِلْ يا مِسْكينُ عَنْ فَرَسِ عُجْبِك.

رُبَّ عَثْرةٍ أوْصَلَتْ الحَضْرَة![1]

رُبَّ عِلْمٍ ثَمَرَتُهُ جَهْلٌ ، وَرُبَّ جَهْلٍ ثَمَرَتُهُ عِلْمٌ.

كَيْفَ يَصِحُّ لَكَ عِزُّ العِلْمِ وأَنْتَ كَسَوْتَ عِلْمَكَ ثَوْبَ الذُّلِّ.

لا تَظُنّ أَنَّ صِبْغَكَ يَسْتُرُ شَيْبَكَ ، غَيَّرَهُ وَمَا سَتَرَهُ.

لَوْ خَطا الرَّجُلُ مِنْ قافٍ إلى قافٍ كانَ جُلوسُهُ أَفْضَلُ.

وَلَوْ تَكَلَمَ عَنْ الذّاتِ والصِّفاتِ كانَ سُكوتُهُ أَفْضَلُ.

مَنْ تَطاوَلَ عَلى الخَلْقِ قَصُرَ عِنْدَ الخالِقِ.

مَنْ تَعالى على العِبادِ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ المَعْبودِ.

كُلُّ حالٍ تَحَوُّلُهُ فيهِ ، وكُلُّ ظاهِرٍ بِهِ ما يُخْفيه.

[1] في أغلب النسخ المطبوعة (الحفرة) وفي القليل منها (الحضرة) ، والمعنيان حسنان. ويحسن كونها (الحفرة) إذا ما ضمت إلى الجملة التي سبقتها : انزل يا مسكين عن فرس عجبك ، رب عثرة أوصلت الحفرة! أي رب كبوة مهلكة ، لا قيام بعدها ، ورب كلمة تهوي بصاحبها في النار سبعين خريفا ومستعظم النيران من مستصغر الشرر. ويحسن كونها : رب عثرة أوصلت الحضرة! وتكون هذه المقابلة اللفظية متسقة مع الجملة التالية : رب علم ثمرته جهل ، ورب جهل ثمرته علم. وإنما توصل العثرة إلى الحضرة ، إذا ما فتحت للعبد باب ندم وتوبة وإقبال على الله ، والله يفتح لعباده ما شاء من أسباب الهداية.

مَنْ ادَّرَعَ بِدِرْعِ الصَّبْرِ سَلِمَ مِنْ سِهامِ العَجَلَة.

الرَّجُلُ الْمُتَمَكِّنُ إذا نُصِبَ له سِنانٌ على أَعْلى جَبَلٍ شاهِقٍ في الأَرْضِ ، وهَبَّتْ عَلَيْه رِياحُ الليّالي الثَّمانِ ما غَيّرَتْ مِنْه شَعْرَةً واحِدَةً.

الكاذِبُ يَقِفُ مَعَ المبْتَدَعاتِ والعاقِلُ غايَتُهُ وَراءَها.

مَنْ كَمُلَ أَنِفَتْ نَفْسُهُ منْ كلِ شئ غيْرِ ربِه.

الخَلْقُ كُلُّهُمْ لا يَضُرّونَ ولا يَنْفَعونَ ، حُجُبٌ نَصَبَها لِعِبادِهِ ، فَمَنْ رَفَعَ تِلْكَ الحُجُبَ وَصَلَ إلَيْهِ.

الإطْمِئْنانُ بِغَيْرِهِ تَعالى خَوْفٌ ، والخَوْفُ مِنْهُ اطْمِئْنانٌ مِنْ غَيْرِهِ.

تَحْتَ كُلِّ حالَةٍ حالٌ رَبّانِيٌّ ، لَوْ عَرَفْتَهُ لَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَسْكُنُ بِهِ وَتَسْعى بِهِ وَأَنْتَ مُسُخَّرٌ ، اعْمَلوا ولا تَتَّكِلوا ، فَكُلٌ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ.

الصّوفِيُّ مَنْ صَفا فَلَمْ يَرَ لِنَفْسِهِ على غَيْرِهِ مَزِيَّةً.

كُلُّ الأَغيارِ حُجُبٌ قاطِعَةٌ ، فَمَنْ تَخَلَّصَ مِنْها وَصَلَ.

الوَقْتُ سَيْفٌ يَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهُ.[2]

عَلامَةُ العاقِلِ الصَّبْرُ عِنْدَ المِحْنَةِ ، والتواضُعُ عِنْدَ السَّعَةِ ، والأَخْذُ بِالأَحْوَطِ، وَطَلَبُ الباقي سُبْحانَهُ وَتَعالى.

عَلامَةُ العارِفِ كِتْمانُ الحالِ ، وَصِحَّةُ المَقالِ ، والتَّخَلُّصُ مِنْ الآمالِ.

الدُّنْيا والآخِرَةُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ : عَقْلٌ وَدينٌ.

العِلْمُ ما رَفَعَكَ عَنْ رُتْبَةِ الجَهْلِ ، وَأَبْعَدَكَ عَنْ مَنْزِلِ العِزَّةِ ، وَسَلَكَ بِكَ سَبيلَ أُولي العَزْمِ.

الشَّيْخُ مَنْ إِذا نَصَحَكَ أَفْهَمَكَ ، وَإِذا قادَكَ دَلَّكَ ، وإذا أَخَذَكَ نَهَضَ بِكَ.

الشَّيْخُ مَنْ يُلزِمُكَ الكِتابَ والسُّنَّةَ ويُبْعِدُكَ عَنْ المحْدَثَةِ والبِدْعَةِ. الشَّيْخُ ظاهِرُهُ الشَّرْعُ ، وباطِنُهُ الشَّرْعُ ، الطَّريقَةُ الشَّريعَةُ.

لَوَّثَ هَذِهِ الخِرْقَةَ كَذَّابٌ قالَ الباطِنُ غَيْرُ الظَّاهِرِ ، العارِفُ يَقولُ الباطِنُ باطِنُ الظَّاهِرِ ، وجَوْهَرُهُ الخالِصُ.

القُرْآنُ بَحْرُ الحِكَمِ كُلِّها وَلَكِنْ أَيْنَ الأُذُنُ الواعِيَةُ ؟

[2] الوقت سيف يقطع من قطعه ، أي يقطع من قطعه في غفلة عن الله ، فيكون وقته في خسر. ومثل ذلك قول العارفين : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، أي إن لم تقطعه في طاعة ، قطعك.

رَنَّةُ النَّجاحِ تُسْمَعُ عِنْدَ قَرْعِ بابِ الرِّضا مِنْ اللهِ.

ارْضَ عَنِ اللهِ ، وَنَمْ مَرْضِيّاً ، وَلَكَ الأَمْنُ.

ما شَمَّ رائِحَةَ المعْرِفَةِ مَنْ افتَخَرَ بِأَبيهِ وَأُمِّهِ ، وَخالِهِ وَعَمِّهِ ، وَمالِهِ وَرِجالِهِ.

لَيْسَ عِنْدَ اللهِ على شَيءٍ مَنْ رَأى نَفْسَهُ.

لَوْ عَبَدَ اللهَ العابِدُ بِعِبادَةِ الثَّقَلَيْنِ ، وَفيهِ ذَرَّةٌ مِنَ الكِبْرِ فَهوَ مِنْ أَعْداءِ اللهِ وَأَعْداءِ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثَلاثُ خِصالٍ مَنْ كُنَّ فيهِ لا يَكونُ وَلِيّاً إلا إذا طَهَّرَهُ اللهُ مِنْهُنَّ : الحُمْقُ ، والعُجْبُ ، والبُخْلُ.

أَكْذَبُ النّاسِ على اللهِ والخَلْقِ مَنْ رأى نَفْسَهُ خَيراً مِنْ الخَلْقِ.

كُلُّ الظُّلْمِ : التَعالي على النَّاسِ.

الظُلْمُ حِرْصُ الرَّجُلِ على المراتِبِ الكاذِبَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، ومِنْها أَنْ يُحِبَّ الارْتِفاعَ على أَخيهِ بِكَلِمَةٍ أو جِلْسَةٍ لا حَقَّ لَهُ بِها ، وعلى ذَلِكَ تُقاسُ المراتِبُ.

مَنْ أَخَذَ النَّاسَ بِقُوَّتِهِ القاهِرَةِ تَرَكَ في قُلوبِهِمْ الضَّغائِنَ عَلَيْهِ كَيْفَ كانَ ، وَمَنْ أَخَذَ النَّاسَ بانْكِسارِهِ تَرَكَ في قُلوبِهِمْ الاعْتِرافَ لَهُ ، عَزَّ أَوْ هانَ.

نِعْمَ الرَّفيقُ في بِلادِ اللهِ تَقْوى اللهِ ، وَنِعْمَ المراحُ الذي يَسْتَرِيحُ القَلْبُ وَالبَدَنُ بِهِ الإخْلاصُ.

لَنْ يَصِلَ العَبْدُ إلى مَرْتَبَةِ أَهْلِ الكَمالِ وَفيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ حُروفِ أَنا.

الشَّطَّاحُ يَقِفُ مَعَ شَطْحِهِ حَالَةَ الشَّطْحِ إذا لَمْ يَسْقُطْ ، والكامِلُ لا يَشْتَغِلُ عَنْ خِدْمَتِهِ.

الدَعْوى بَقِيَّةُ رُعونَةٍ في النَّفْسِ لا يَحْتَمِلُها القَلْبُ فَيَنْطِقُ بِها لِسانُ الأَحْمَقِ.

التَّحَدُّثُ بِالنِّعْمَةِ ذِكْرُ القُرْبِيَّةِ وَالتَّخَلُّصُ مِنْ تَجاوُزِ مَرْتَبَةِ العَبْدِيَّةِ.

العارِفُ لا يَنْظُرُ إلى الدُّنْيا ولا إلى الآخِرَةِ.

كُلُّ الكَمالِ تَرْكُ الأَغْيارِ وَطَرْحُ الاسْتِبْشارِ بِحوادِثِ الأَكوانِ ، وَالذُّلُّ بِكِسْوَةِ الفَناءِ بَيْنَ يَدَيْ الحَيِّ الذي لا يَموتُ.

لا تَجْعَل رُواقَ شَيْخِكَ حَرَماً وَقَبْرَهُ صَنَماً وَحالَهُ دَفَّةَ الْمُكْدِيَةِ.

الرَّجُلُ مَنْ يَفْتَخِرُ بِهِ شَيْخُهُ ، لا مَنْ يَفْتَخِرُ بِشَيْخِهِ.

مَنْ أَصَمَّ أَسْماعَهُ عَنْ أَصْواتِ الأَغْيارِ سَمِعَ نِداءَ : (لِمَنْ المُلْكُ اليَوْمَ) فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِ كَذِبِهِ وَعُجْبِهِ وَأَنانِيَّتِهِ ، وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَوَحْدَتِهِ ، وَانْقَهَرَ في مَقامِ عُبودِيَّتِهِ.

إِيَّاكَ وَالقَوْلَ بِالوَحْدَةِ التي خَاضَ بِها بَعْضُ المتَصَوِّفَةِ ، إِيَّاكَ وَالشَّطْحَ ، فَإِنّ الحِجابَ بِالذُّنوبِ أَوْلى مِنْ الحِجابِ بِالكُفْرِ : (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ).

إذا رَأَيْتَ الرَجُلَ يَطيرُ في الهَواءِ فلا تَعْتَبِرْهُ حَتّى تَزِنَ أَقْوالَهُ وأَفْعالَهُ بِميزانِ الشَّرْعِ.

إِيّاكَ والإِنْكارَ على الطّائِفَةِ في كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ ، سَلِّمْ لَهُمْ أَحْوالَهُمْ إلا إذا رَدَّها الشَّرْعُ فَكُنْ مَعَهُ.

التَّكَلُّمُ بالحقائِقِ قَبْلَ هَجْرِ الخلائِقِ مِنْ شَهَواتِ النُّفوسِ.

مَنْ عَدَلَ عَنِ الحَقِّ إلى الباطِلِ تَبَعاً لِهَوىً في نَفْسِهِ ، فَهُوَ مِنَ الضَّلالِ بِمَكانٍ.

أَوَّلُ أَبْوابِ المعْرِفَةِ الاسْتِئْناسُ بِاللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى ، وَالزُّهْدُ أَوَّلُ قَدَمِ القاصِدينَ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

مَنْ ماتَ مُحِبّاً مَاتَ شَهيداً ، وَمَنْ عاشَ مُخْلِصاً عاشَ سَعيداً ، وَكِلا الأَمْرَيْنِ بِتَوْفيقِ اللهَ تَعالى.

مَنْ سَلَكَ الطَّريقَ بِنَفْسِهِ أُعِيدَ قَسْراً.

هِذِهِ الطَّريقةُ لاتُوَرَّثُ عَنْ الأَبِ وَالجَدِّ إِنَّما هِيَ طَريقَةُ العَمَلِ وَالجِدِّ ، وَالوُقوفِ عِنْدَ الحَدِّ ، وَذَرِّ الدُّموعِ على الخَدِّ ، والأَدَبِ مَعَ اللهِ تَعالى.

ظَنَّ بَعْضُ الجَهَلَةِ أَنَّ هَذِهِ الطَّريقَةَ تُنالُ بِالقيلِ وَالقالِ ، والدِّرْهَمِ وَالمالِ، وَظَواهِرِ الأَعْمالِ ، لا وَاللهِ ، إِنَّما نَيْلُها بِالصِّدْقِ وَالانْكِسارِ ، وَالذُّلِ وَالافْتِقارِ وَاتِّباعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ المخْتارِ ، وَهَجْرِ الأَغْيارِ.

مَنْ اعْتَزَّ بِذي العِزَّةِ عَزَّ وَمَنْ اعْتَزَّ بِغَيْرِهِ وَقَفَ مَعَهُ بِلا عِزٍّ.

كِتابُ اللهِ آيَةٌ جامِعَةٌ انْدَرَجَتْ فِيها الآياتُ الرَّبّانِيّاتُ ، مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِفهْمِ بَواطِنِ كِتابِهِ ، وَالتِزامِ ظاهِرِ الشَّرْعِ ، فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الغَنيمَتَيْنِ ، وَمَنْ أَخَذَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ وَانْقَطَعَ عَنِ البَاطِنِ وَالظّاهِرِ.

ذِكْرُ اللهِ جُنَّةٌ مِنْ كُلِّ نازِلَةٍ سَماوِيَّةٍ وَحادِثَةٍ أَرْضِيَّةٍ.

أَجَلْ ، إِنَّ الذّاكِرَ جَليسُ الحَقّ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَأَدَّبَ مَعَ المذْكورِ ، لِكَيْلا يُقْطَعَ عَنْ المجالَسَةِ ، التي هِيَ بَرَكَةُ القَبُولِ وَالطَّهارَةِ مِنْ الغَفْلَةِ.

كُلُّ لِسَانٍ يَتَكَلَّمُ مُتَرْجِماً عَنْ حَضْرَةِ القَلْبِ يُظْهِرُ بِضاعَتَها ، وَيَفْتَحُ خَزانَتَها، فَمَنْ طَهُرَتْ حَضْرةُ قَلْبِهِ طابَ لِسانُهُ ، وَعَذُبَ بيانُه ، فَإِنْ اعْتَبَرَ بِالفَتْحِ السَّيّالِ على لِسانِهِ ، وَاعْتَنَى بِتَطْهيرِ حَضْرَةِ القَلْبِ ازْدادَ عِرْفانُهُ وَبُرْهانُهُ ، وَمَنْ اكتَفَى بِحَظِّ اللسانِ بَقِيَ مَعَ الأَقْوالِ قَصيرَ البَاعِ عَنْ تَناوُلِ ثَمَراتِ الأَفْعالِ.

رُوحُ جِسْمِ المعْرِفَةِ الانْتِباهُ الدّائِمُ ، وَالسِّرُّ السَّليمُ وَالقَلْبُ الرَّحيمُ ، وَالقَدَمُ الثّابِتُ.

مِنَ الحِكْمَةِ أَنْ تُودِعَ المعْروفَ أَهْلَهُ، وَمِنْ الصِّدْقِ أَنْ لا تَمْنَعَهُ غَيْرَ أَهْلَهُ ، وَثَمَرَةُ الصَّنيعَيْنِ مِنْ اللهِ تَعالى ، إِذا أُودِعْتَ مَعْروفاً فَلا تَكْفُرْهُ فَإِنَّهُ ثَقيلٌ عِنْدَ اللهِ.

مَا أَفْلَحَ مَنْ دَسَّ ، وَلا عَزَّ مَنْ ظَلَمَ ، وَلا يَتِمُّ حَالٌ لِباغٍ ، وَلا يُخْذَلُ عَبْدٌ رَضِيَ بِاللهِ وَكِيلاً وَنَصِيراً.

مُشَكِّكٌ لا يُفْلِحُ ، ودَسَّاسٌ لا يَصِلُ ، وَبَخيلٌ لا يَسُودُ ، وحَسودٌ لا يُنْصَرُ، وَكَلْبُ الدُّنْيا لا يَسْتَوْلي عَلى لَحْمِ جِيفَتِها ، وَاللهُ مُحَوّلُ الأَحْوالِ.

غَارَةُ اللهِ تَقْصِمُ وَتَقْهَرُ ، وَتُدَمِّرُ وَتَفْعَلُ ، وَتَقْلِبُ حَالَ مَمْلَكَةٍ كِسْرَوِيَّةٍ لِكَسْرِ قَلْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ انْتَصَرَ بِاللهِ.

كُلُّ النَّاسِ يَرَوْن أَنْفَسَهُمْ فَيُغَانُ على قُلوبِهِمْ ، فالمحَمَّدِيُّ يَسْتَغْفِرُ وَيَدْفَعُ الحِجَابَ ، وَالمحْجُوبُ يَزْدادُ طَمْساً عَلى طَمْسٍ ، وَالمعْصومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ.

لا دَواءَ لِلْحُمْقِ ، وَلا دافِعَ لِلْحَقِّ ، وَلا صُحْبَةَ لِلْمَغْرورِ ، وَلا عَهْدَ لِلْغادِرِ، وَلا نُورَ لِلْغَافِلِ ، وَلا إِيمانَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ.

كَتَبَ اللهُ عَلى كُلِّ نَفْسٍ زَكِيَّةٍ أَنْ تُعَذَّبَ في الدُّنْيا بِأَيْدي الأَشْرارِ وَأَلْسِنَةِ الفُجَّارِ، وَكَتَبَ عَلى كُلِّ نَفْسٍ خَبيثَةٍ أَنْ تُسِيءَ لِلْمُحْسِنِ ، وتَمْكُرَ بالمجملِ ، وَالعَوْنُ الإلهيُّ مُحِيطٌ بِالعَبْدِ المخْلِصِ المنْكَسِرِ (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ).

عَلامَةُ العَدُوِّ أَنْ يَرْغَبَ بِما في يَدِكَ ، وَأَنْ يَرْغَبَ عَنْكَ إِذا قَلَّ مَالُكَ ، وَأَنْ يَسْتَلَّ سَيْفَ لِسانِهِ بِمَغيبَتِكَ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ تُمْدَحَ ، فَدَعْهُ للهِ فَهُوَ عَثُورٌ عَلى رَأْسِهِ ، كَالنَّارِ تَأْكُلُ حَطَبَها (وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً).

وَعَلامَةُ الصَّديقِ أَنْ يُحِبَّكَ للهِ فَأَلْصِقْ بِهِ ، فَإِنَّ أَهْلَ المحَبَّةِ للهِ قَليلٌ.

أَوّلْ كَلامَ بَعْضِ الفُقَراءِ وَكَأَنَّكَ تَدْرَأُ الحُدودَ بِالشُّبُهاتِ.

لَوْ كُنْتُ في زَمَنِ الحَلّاجِ لأَفْتَيْتُ مَعْ مَنْ أَفْتَى بِقَتْلِهَ – إِذا صَحَّ الخَبَرُ – وَلَأَخَذْتُ بِالتَّأْويلِ الذي يَدْرَأُ عَنْهُ الحَدَّ ، وَلَقَنَعْتُ مِنْهُ بِالتّوْبَةِ وَالرُّجوعِ إِلى اللهِ ، فَإِنَّ بَابَ الرّحْمَنِ لا يُغْلَقُ.

وَهَبَ اللهُ عِباداً مِنْ عِبادِهِ رُتَباً رَفيعَةً أَطْلَعَ عَلَيْها أَهْلَ الوَهْبِ، فَمَنْ أَدْرَكَ سِرَّ اللهِ في طَيِّ هَذِهِ المواهِبِ تَواضَعَ لِلْخَلْقِ جَميعاً ، فَإِنّ الخَوَاتيمَ مَجْهولَةٌ ، وَساحَةُ الكَرَمِ وَسيعَةٌ ، وَلا قَيْدَ في حَضْرَةِ الوَهْبِ (يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ) ، (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ).

قَالَ بَعْضُ الأَعاجِمِ مِنْ صُوفِيَّةِ خُراسانَ إَنَّ روحانِيَّةِ ابْنِ شَهْرَيارِ الصُّوفِيّ الكَبيرِ، قُدِّسَ سِرُّهُ ، تَتَصَرَّفُ في تَرْتيبِ جُموعِ الصُّوفِيَّةِ في العَرَبِ وَالعَجَمِ إِلى مَا شاءَ اللهُ. ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلّا للهِ الوَهّابِ الفَعّالِ. النّيابَةُ المحَمَّدِيَّةُ عِنْدَ أَهْلِ القُلوبِ ثابِتَةٌ ، تَدورُ بِنَوْبَةِ أَهْلِ الوَقْتِ عَلى مَراتِبِهِمْ وَتَصَرُّفُ الرُّوحِ لا يَصِحُّ لِمَخْلوقٍ ، إِنَّما الكَرَمُ الإِلَهِيُّ يَشْمَلُ أَرْواحَ بَعْضِ أَوْلِيائِهِ ، بَلْ كُلُّهُمْ ، فَيُصْلِحُ شَأْنَ مَنْ يَتَوَسَّلُ بِهِمْ إِلى اللهِ ، قَالَ تعالى : (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ). هذا الحدُّ وَإِيَّاكَ وَإِفْراطَ الأَعاجِمِ ، فَإِنَّ في أَعْمالِ بَعْضِهِمْ الإِطْراءَ الذي نَصَّ عَلَيْهِ الحَبيبُ، عَلَيْهِ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ.

وَإِيَّاكَ وَرُؤْيَةَ الفِعْلِ فِي العَبْدِ حَيّاً كانَ أَوْ مَيِّتاً، فَإِنَّ الخَلْقَ كُلُّهُمْ لا يَمْلِكونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً.

نَعَمْ خُذْ مَحَبَّةَ أَحْبابِ اللهِ وَسَيلَةً إِلى اللهِ ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالى لِعِبادِهِ سِرٌ مِنْ أَسْرارِ الأُلُوهِيَّةِ يَعودُ صِفَةً لِلْحَقِّ ، وَنِعْمَ الوَسيلَةُ إِلى اللهِ سِرُّ أُلوهِيَّتِهِ وَصِفَةُ رُبوبِيَّتِهُ.

الوَلِيُّ مَنْ تَمَسَّكَ كُلَّ التَمَسُّكِ بِأَذْيالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ بِاللهِ وَلِيّاً.

مَنْ اعْتَصَمَ بِاللهِ جَلَّ ، وَمَنْ اعْتَمَدَ عَلى غَيْرِ اللهِ ذَلَّ ، وَمَنْ اسْتَغْنَى بِالأَغْيارِ قَلَّ، وَمَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ طَرِيقِ الرَّسولِ ضَلَّ.

العِلْمُ نُورٌ وَالتَّواضُعُ سُرورٌ.

الهِمَّةُ حَالَةُ الرَّجُلِ مَعَ اللهِ ، يَتَفَاوَتُ عُلُوُّ مَرْتَبَةِ الإيمانِ بِعُلُوِّ الهِمَّةِ.

مَنْ أَيْقَنَ أَنَّ اللهَ الفَعَّالُ المطْلَقُ صَرَفَ هِمَّتَهُ عَنْ غَيْرِهِ.

مَنْ عَلَتْ فِي اللهِ هِمَّتُهُ ، صَحَّتْ إِلى اللهِ عَزِيمَتُهُ ، وَانْفَصَلَتْ عَنْ غَيْرِ اللهِ هِجْرَتُهُ.

مَائِدَةُ الكِرامِ يَجْلِسُ عَلَيْها البَرُّ وَالفَاجِرُ.

للهِ عِنْدَ الخَواتِيمِ حَنَانٌ وَلُطْفٌ عَلَى عِبَادِهِ فَوْقَ حَنَانِ الوالِدَةِ عَلَى وَلَدِهَا.

إِنَّ اللهَ إِذا وَهَبَ عَبْدَهُ نِعْمَةً ما اسْتَرَدَّهَا.

فُيُوضاتُ المواهِبِ الإلهيةِ فَوْقَ مَدارِكِ العُقولِ وُتَصوّراتِ الأَوْهامِ.

مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يُريدُ ، فَوَّضَ الأَمْرَ إِلى الفَعَّالِ المُقْتَدِرِ ، وَفَرَشَ جَبينَهُ عَلَى تُرابِ التَّسْليمِ.

كُلُّ الحَقائِقِ إِذا انْجَلَتْ يُقْرَأُ في صَحَائِفِها سَطْرُ (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ).

إِذا أَمْعَنْتَ النَّظَرَ فِي دَوائِرِ الأَكْوانِ رَأَيْتَ العَجْزَ مُحيطاً بِها ، وَالافْتِقَارَ قَائِماً مَعَها، وَلِرَبِّكَ الحَولُ وُالقَوْلُ ، وَالغِنى وَالقُدْرَةُ ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ.

مَزَالِقُ الأَقْدَامِ الدَّعوى وَرُؤْيَا النَّفْسِ وَمُعارَضَةُ الأَقْدَارِ.

لَوْ كَانَ لَكَ مَا ادَّعَيْتَ مِنْ الحَوْلِ وَالقُوَّةِ وَالقُدْرَةِ لَمَا مِتَّ.

أَيْنَ أَنْتَ يا عَبْدَ الرِّيَاسَةِ ، أَيْنَ أَنْتَ يَا عَبْدَ الدَّعْوى؟ أَنْتَ عَلَى غِرَّةٍ. تَنَحَّ عَنْ رِيَاسَتِكَ وَغِرَّتِكَ ، وَالْبَسْ ثَوْبَ عَبْدِيَّتِكَ وَذِلَّتِكَ. كُلُّ دَعْواكَ كَاذِبَةٌ ، وَكُلُّ رِياسَتِكَ وَغِرَّتِكَ هَزْلٌ.

القَوْلُ الفَصْلُ (قُلْ كُلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ) ، سِرْ بَيْنَ الحَائِطَيْنِ ، حَائِطُ الشَّرْعِ وَحَائِطُ العَمَلِ.

اسْلُكْ طَرِيقَ الاتِّبَاعِ ، فَإِنَّ طَرِيقَ الاتِّبَاعِ خَيْرٌ وَطَرِيقَ الابْتِدَاعِ شَرٌ ، وَبَيْنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ بَوْنٌ بَيِّنٌ.

مَرِّغْ خَدَّكَ عَلَى البَابِ ، وَافْرِشْ جَبِينَكَ عَلَى التُّرَابِ ، وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى عَمِلَكَ والْجَأْ إِلى رَحْمَتِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ ، وَتَجَرَّدْ مِنْكَ وَمِنْ غَيْرِكَ ، عَلَّكَ تَلْحَقُ بِأَهْلِ السَّلامَةِ (الذينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ).

بَرَكَةُ العَبْدِ فِي الوَقْتِ الذي يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الأَوْلِياءُ لَهُمْ الحُرْمَةُ فِي البَابِ الإِلَهِيّ ، وَلَوْلَا أَنْ جَعَلَ اللهُ لَهُمْ هَذِهِ القِسْمَةَ لَمَا اخْتَصَّهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ بِوِلايَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، هَؤُلاءِ حِزْبُ اللهِ ، جَيْشُهُ العَرَمْرَمُ الذي أَيَّدَ اللهُ بِهِ الشَّرِيعَةَ وَنَصَرَ بِهِ الحَقِيقَةَ ، وَصانَ بِهِ شَرَفَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَلْحَقَهُ بِهِ ، قَالَ تَعَالَى (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤْمِنِينَ).

المَعْرِفَةُ بِاللهِ عَلَى أَقْسَامٍ ، وَأَعْظَمُ أَقْسَامِهَا : تَعْظِيمُ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى.

بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الرَّبِّ حِجابُ الغَفْلَةِ لا غَيْرَ ، قَالَ تَعَالَى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم).

العَبْدُ العَارِفُ يَفْزَعُ إِلى اللهِ ، وَيَتَوَقَّعُ سِرَّ اللهِ. وَسِرُّ اللهِ العَوْنُ النّاشِيءُ مِنْ مَحْضِ الكَرَمِ وَالفَضْلِ مِنْ دونِ سَابِقَةِ صُنْعٍ وَلَا عَمَلٍ.

القَلْبُ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْ قُدْرَةِ الرَّحْمَنِ فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُثَبِّتَ القُلُوبَ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَدينِهِ (وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا).

المظاهِرُ البَارِزَةُ مِنْها مَا قُيِّضَ لِلْخَيْرِ ، وَمِنْهَا مَا قُيِّضَ لِلْشَّرِ ، وَالمتَصَرِّفُ فِيهَا بَارِيهَا ، فَالْمَظْهَرُ الْمُقَيَّضُ لِلْخَيرِ يُشْكَرُ ، والْمَظْهَرُ الْمُقَيَّضُ لِلشَّرِ يُنْكَرُ ، وَاللهُ فِي الحَالَيْنِ يُذْكَرُ.

لَا يَتِمُّ نِظَامُ رَجُلٍ أَقَامَهُ اللهُ مَظْهَراً لِلشَرِّ ، لَأَنَّ اللهَ لَوْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ نِظَامَهُ لَمَا أَقَامَهُ مَظْهَراً فِيمَا يَكْرَهُهُ.

دَعْ عَنْكَ الاهْتِمَامَ بِتَقْوِيمِ المعْوَجّ قَبْلَ بُروزِ السَّاعَةِ المقَوِّمَةِ ، فَإِنَّ سَحَابَ الخَيْرِ يُمْطِرُ بِإِبَّانِه ، وَلَا يُطْلَبُ قَبْلَ أَوَانِهِ.

لا تُسْقِطْ هِمَّتَكَ بِيَدِ هَمِّكَ فَتَنْقَلِبَ عَنْ المطَالِبِ العَلِيَّةِ، فَإِنَّ الهَمَّ كَافُورُ الهِمَّة والإِقْدامُ عَنْبَرُهَا ، وَالمقْضِي كَائِنٌ وَغَيْرُهُ لَا يَكُونُ.

قِفْ عِنْدَ أَفْعَالِكَ التي وُهِبَتْ لَكَ ، وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسَكَ تَبْدِيلَ مَا اضطُرِرْتَ بِفِعْلِهِ، وَلَا تَرَاكَ مَجْبُوراً وَلَا مُخْتَاراً ، فَإِنَّ الأَمْرَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ.

كُلُّ وَلِيٍّ يَقُولُ وَيَصُولُ فَهُوَ فِي حِجَابِ القَوْلِ وَالصَّوْلَةِ، حَتّى يَنْقَهِرَ تَحْتَ سَطْوَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ ، فَإِذا فَاءَ دَنَا فَتَدَلَّى بِصِدْقِهِ إِلى قَابِ قَوْسَيْ المُتَابَعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، وَحِينَئِذٍ تَصِحُّ لَهُ رُتْبَةُ العُبُودِيَّةِ التي هِيَ أَكْمَلُ الرُّتَبِ وَأَعْلَاهَا ، وَأَقْرَبُهَا مِنَ اللهِ وَأَدْنَاهَا، وَأَعْظَمُهَا وَسيلَةٌ إِلَيْهِ وَأَقْواهَا ، وَلَيْسَ لِلخَلْقِ سِواها.

كُلُّ مَنْ اكْتَحَلَ بِإِثْمِدِ التَّوْفِيقِ عَلِمَ عِلْمَ اليَقينِ وَحَقَّ اليَقينِ أَنَّ المَبَاطِنَ والمظَاهِرَ تَحْتَ قَهْرِ البَاطِنِ الظَّاهِرِ.

صَفَاءُ القَلْبِ وَالبَصِيرَةِ ، وَنَفَاذُ نُورِ البَصَرِ يَكُونُ مِنْ قِلَّةِ الطَّعَامِ وَالشَّرابِ، لِأَنَّ الجُوعَ يُزِيلُ الكِبْرَ والتَّعاظُمَ وَالتَّجَبُّرَ ، وَبِهِ تَعْذيبُ النَّفْسِ حَتَّى تَصِيرَ مَشْغُولَةً بِالحَقِّ ، وَمَا رَأَيْتُ شَيْئاً يَكْسِرُ النَّفْسَ مِثْلَ الجُوعِ قَطُّ ، وَأَمَّا الشِّبَعُ فَإِنَّهُ يُورِثُ قَسْوَةَ القَلْبِ وَظُلْمَتَهُ وَعَدَمَ نَفاذِ نُورِ البَصيرةِ ، وتَكْثُرُ بِسَبَبِهِ الغَفْلَةُ.

رِعَايَةُ خَواطِرِ الجِيرانِ أَوْلى مِنْ رِعَايةِ خَواطرِ الأَقَارِبِ ، لأَنَّ الأَقَارِبَ خَواطِرُهُمْ مَجْبُورَةٌ بِالقَرابَةِ ، وَالجيرانُ لا.

القَلْبُ الْمُنَوَّرُ يَميلُ إِلى صُحْبَةِ الصُّلَحاءِ وَالعارِفينَ ، وَيَنْفِرُ مِنْ صُحْبَةِ المتَكَبِّرِينَ وَالجاهِلينَ.

مُعامَلَةُ عِبادِ اللهِ بِالإحْسانِ ، تُوصِلُ العَبْدَ إلى الدَّيانِ ، والصَّلاةُ على رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَهِّلُ المرورَ على الصِّراطِ ، وَتَجْعَلُ الدُّعاءَ مُسْتَجاباً، والصَّدَقَةُ تُزيلُ غَضَبَ اللهِ ، والإحْسانُ للوالدين يُهَوِّنُ سَكَراتِ المَوْتِ.

صُحْبَةُ الأَشْرارِ والحَمْقَى والظَلَمَةِ وَأَهْلِ الحَسَدِ ، ظُلْمَةٌ سَوْداءُ.

العارِفُ مَنْ كانَ على جانِبٍ كَبيرٍ مِنْ سُلوكِ طَريقِ الحَقِّ ، مَعْ المواظَبَةِ والاسْتِقامَةِ عَلَيْهِ فَلا يَتْرُكُهُ دَقيقَةً واحِدَةً.

الصُّوفِيُّ يَتَباعَدُ عَنْ الأَوْهامِ والشُّكوكِ ، وَيَقُولُ بِوَحْدانِيَّةِ اللهِ تَعالى في ذاتِهِ، وصِفاتِهِ ، وَأَفْعالِهِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ، يَعْلَمُ ذَلك عِلْماً يَقيناً ، لِيَخْرُجَ مِنْ بَابِ العِلْمِ الظَنِّي ، ولِيَخْلَعَ مِنْ عُنُقِهِ رِبْقَةَ التَّقْليدِ.

الصُّوفِيُّ لا يَسْلُكُ غَيْرَ طَريقِ الرَّسولِ الْمُكَرَّمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلا يَجْعَلُ حَرَكاتِهِ وَسَكَناتِهِ إلا مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ.

الصُّوفِيُّ لا يَصْرِفُ الأَوْقاتَ في تَدْبيرِ أُمورِ نَفْسِهِ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ الْمُدَبِّرَ الحَقُّ عَزَّ وَجَلَّ ، ولا يَلْجَأُ في أُمورِهِ ويُعَوِّلُ على غَيْرِ اللهِ تَعالى.

الصُّوفِيُّ يَتَجَنَّبُ مُخَالَطَةَ الخَلْقِ مَهْمَا أَمْكَنَ ، لَأَنَّ الصُّوفِيَّ كُلَّما زادَ اخْتِلاطُهُ بِالخَلْقِ ظَهَرَتْ عُيوبُهُ ، والْتَبَسَ عَلَيْهِ الأَمْرُ ، وإذا خالَطَ البَعْضَ فَلْيَخْتَرْ لِنَفْسِهِ صُحْبَةَ الصّالِحِينَ ، فَإِنَّ المرْءَ عَلى دينِ خَليلِهِ.

نَفَسُ الفَقيرِ مِثْلُ الكِبْريتِ الأَحْمَرِ لا يُصْرَفُ إلا بِحَقٍّ لِحِقٍّ.

مَنْ لَمْ يَزِنْ أَقْوالَهُ وَأَفْعالَهُ وَأَحْوالَهُ في كُلِّ وَقْتٍ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، ولَمْ يَتَّهِمْ خَواطِرَهُ لَمْ يُثْبَتْ عِنْدَنا في دِيوانِ الرِّجالِ.

مَنْ عَلِمَ ما يَحْصُلُ لَهُ هَانَ عَلَيْهِ ما يَبْذُلُ.

مَنْ اسْتَقامَ بِنَفْسِهِ اسْتَقامَ بِهِ غَيْرُهُ. كَيْفَ يَسْتَقيمُ الظِّلُّ والعودُ أَعْوَجُ ؟

الفَقيرُ إذا كَسَرَ نَفْسَهُ وَذَلَّ وانْداسَ واحْتَرَقَ بِنارِ الشَّوْقِ والصِّدْقِ وَثَبَتَ في مَيْدانِ الاسْتِقامَةِ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ تَعالى ، صارَ مَعْدِنَ الخَيْراتِ وَمَقْصِدَ المخْلوقاتِ وَصارَ كالغَيْثِ أَيْنَ وَقَعَ نَفَعَ وَيَكونُ حينَئِذٍ رَحْمَةً وَسَكينَةً عَلى خَلْقِ اللهِ تَعالى.

رُبَّما اتُّبِعَ الكاذِبُ وَهُجِرَ الصَّادِقُ ، وكَثُرَتْ طَقْطَقَةُ النِّعالِ حَوْلَ المغْرورينَ، وَتَباعَدَ النَّاسُ عَنْ المتْروكينَ ، فَلا تَعْجَبْ مِنْ ذَلك فَإِنَّ حالَ النَّفْسِ تُحِبُّ القُبَّةَ المزَيَّنَةَ والقَبْرَ المنْقوشَ والرُّواقَ الوَسيعَ وَتَأْلَفُ الشَّيْخَ الكَبيرَ العِمامَةِ الوَسيعَ الكُمِّ الكَثيرَ الحِشْمَةِ. فَسَيِّرْ هِمَّةَ القَلْبِ لا هِمَّةَ النَّفْسِ لِكَشْفِ هَذِهِ

الحُجُبِ ، وَقُلْ لِنَفْسِكَ لَوْ رَأَيْتَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حَصيرَةٍ وَقَدْ أَثَّرَتْ في جَنْبِهِ الشَّريفِ ورَأَيْتَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، رِضْوانُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ ، لا طَعامَ لَهُمْ ولا حَشَمَ ، ثُمَّ رَأَيْتَ كِسْرى العَجَمِ على سَريرِهِ المرَصَّعِ بالجواهِرِ واليَواقيتِ ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ مُسْتَغْرِقينَ بِالتَّرَفِ والنَّعيمِ ، مُحاطينَ بِالخَدَمِ والحَشَمِ، أَيْنَ تَكونينَ؟ وَمَعْ أَيِّ صِنْفٍ تَنْصَرِفينَ ؟ فَلا بُدَّ إِنْ وَفَّقَها اللهُ أَنْ تُحِبَّ مَعِيَّةَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ. فَقُدْ بِهذا الشَّأْنِ هِمَّةَ القَلْبِ إلى أَهْلِ الحالِ المحَمَّدِيِّ تُحْسَبْ في حِزْبِ اللهِ : (أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المفْلِحُونَ).

وَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ حالَ تَقَشُّفِكَ شَيْئاً ، فَإِنَّ الجوعَ بِلا مَعْرِفَةٍ وَأَدَبٍ مُحَمَّدِيٍّ وَصْفٌ مِنْ أَوْصافِ الكَلابِ. فارْفَعْ قَدْرَكَ بِالأَدَبِ المحَمَّدِيِّ إلى مَراتِبِ أَهْلِ الوَصْلَةِ مِنْ صُدورِ القَوْمِ ، واقْطَعْ عَنْكَ رُؤْيَةَ العَمَلِ ، واطْمِسْ حُروفَ أَنانِيَّتِكَ فَإِنَّها بَقِيَّةُ إِبْليسَ ، وَكُنْ عَبْداً مَحْضاً تَفُزْ بِقُرْبِ سَيِّدِكَ ، وكَفى باللهِ وَلِيّاً.

تَعَلَّقَ النَّاسُ اليَوْمَ بِأَهْلِ الحَرْفِ والكيمياءِ والوَحْدَةِ والشَّطْحِ والدَّعوى العَريضَةِ ، إِيَّاكَ وَمُقَارَبَةَ مِثْلِ هؤلاءِ النَّاسِ فَإِنَّهُمْ يَقودونَ مَنْ اتَّبَعَهُمْ إلى النّارِ وَغَضَبِ الجَبّارِ وَيُدْخِلونَ في دينِ اللهِ ما لَيْسَ مِنْهُ ، وَهُمْ مِنْ جِلدتِنا ، إذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ سَاداتِ الدُّعاةِ إلى اللهِ تَعالى ، حَسْبُكَ اللهُ ، إذا رَأَيْتَ أَحَداً مِنْهُمْ قُلْ (يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المشْرِقَينِ).

جَاهِلٌ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الخِرْقَةِ يُلْحِقُ يَدَكَ بِيَدِ القَوْمِ وَيَأْمُرُكَ بِذِكْرِ اللهِ ومُلازَمَةِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ ، خَيْرٌ مِنْ تِلْكَ الطَّائِفَةِ كُلِّها ، فِرَّ مِنْهُمْ كَفِرارِكَ مِنْ الأَسَدِ، كَفِرارِكَ مِنْ المَجْذومِ.

قَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : "كانوا يَسْأَلونَ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْ الخَيْرِ ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عِنْ الشَّرِ مَخافَةَ أَنْ يُدْرِكَني ، فَقُلْتُ يا رَسولَ اللهِ إِنّا كُنّا في جاهِلِيَّةٍ وشَرٍ ، فَجاءَنا اللهُ بِهذا الخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قال : نَعَم، قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِ مِنْ خَيْرٍ ؟ قالَ نَعَمْ ، وفيهِ دَخَنٌ ، قُلْتُ وما دَخَنُهُ؟ قالَ قَوْمٌ يَسْتَنّونَ بِغَيْرِ سُنَّتي ويَهْدونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وُتُنْكِرُ ، فَقُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ شَرٍّ؟ قالَ دُعاةٌ على أَبْوابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجابَهَمْ إِلَيْها قَذَفوهُ فيها ، فَقُلْتُ يا رَسولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا ، قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنا يَتَكَلَّمونَ بِأَلْسِنَتِنا ، قُلْتُ فَما تَأْمُرُني إِنْ أَدْرَكَني ذَلِكَ؟ قالَ تَلْزَمُ جَماعَةَ المسْلِمينَ وإِمامَهُمْ ، قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَماعَةٌ ولا إِمامٌ ، قالَ فاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقِ كُلَّها ، ولَوْ أَنْ تَعَضّ على أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتى يَأْتيكَ المَوْتُ وأَنْتَ على ذَلِكَ".

هذه وَصِيَّةُ نَبِيِّكَ الأَمينِ ، سَيِّدِنا وَسَيِّدِ العالمينَ ، عَلَيْهِ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ، فاحْفَظْها واعْمَلْ بِها.

وإيَّاكَ والتَّعَزُّزَ بِالطَّريقِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ سوءِ الأَدَبِ مَعَ اللهِ والخَلْقِ ، وإِنَّما بُنِيَ هذا الطَّريقُ على التَّذَلُّلِ ، فَإِنَّ القَوْمَ ذَلُّوا حَتّى أَتاهُمْ اللهُ بِعِزٍّ عَلِيٍّ مِنْ عِنْدِهِ، وافْتَقَروا حَتَّى أَتاهُمْ بِغِنىً مِنْ فَضْلِهِ.

واحْذَرْ صُحْبَةَ الفِرْقَةِ التي دَأْبُها تَأْويلُ كَلِماتِ الأَكابِرِ ، والتَّفَكُّهُ بِحِكاياتِهِمْ وما نُسِبَ إِلَيْهِمْ ، فَإِنّ أَكْثَرَ ذَلِكَ مَكْذوبٌ عَلَيْهِمْ ، وما كان ذَلِكَ إلا مِنْ عِقابِ اللهِ لِلْخَلْقِ ، لَمَّا جَهِلوا الحَقَّ وحَرِصوا على الخَيْرِ ، فابْتَلاهُمْ اللهُ بِأُناسٍ مِنْ ذَوي الجَرْأَةِ السُّفَهاءِ فَأَدْخَلوا على رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحاديثَ ، تَنَزَّهَ مَقامُ رِسالَتِهِ عَلَيْهِ الصَلَّاةُ والسَّلامُ عَنْها ، مِن الْمُرَغِّبَةِ والْمُرَهِّبَةِ ، والغامِضَةِ والظَّاهِرَةِ، وَسَلَّطَ اللهُ أَيْضاً أُناساً مِنْ أَهْلِ البِدْعَةِ والضَّلالَةِ فَكَذَبوا عَلى القَوْمِ وأَكابِرِ الرِّجالِ، وأَدْخَلوا في كَلامِهِمْ ما لَيْسَ مِنْهُ، فَتَبِعَهُمْ البَعْضُ فَأُلْحِقُوا بالأَخْسَرينَ أَعْمالاً.

فَعَلَيْكَ بِاللهِ ، وَتَمَسَّكْ لِلْوصولِ إِلَيْهِ بِذَيْلِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَلَّاةُ والسَّلامُ ، والشَّرْعُ الشَّريفُ نُصْبَ عَيْنَيْكَ ، وجَادَّةُ الاجْماعِ ظاهِرَةٌ لَكَ ، لا تُفارِقْ الجَماعَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ ، تِلْكَ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ واعْتَصِمْ بِاللهِ ، واتْرُكْ ما دونَهُ، وَقُلْ في سِرِّكَ ، أَيْ سَيِّدي ، قَوْلي:

فَلَيْتَكَ تَحْلو والحَيَاةُ مَريرَةٌ * وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأَنامُ غِضَابُ
وَلَيْتَ الذي بَيْني وَبَيْنَكَ عامِرٌ * وَبَيْنِي وَبَيْنَ العَالمينَ خَرابُ
إِذا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ * وَكُلُّ الذي فَوْقَ التُّرابِ تُرابُ

لا تَعْمَلْ عَمَلَ أَهْلَ الغُلُوِّ فَتَعْتَقِدَ العِصْمَةَ في المشايخِ أَوْ تَعْتَمْدَ عَلَيْهِمْ فيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ غَيورٌ ، لا يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ فيما آلَ إلى ذاتِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ أحداً.

نَعَمْ هُمْ أَدِلَاءُ على اللهِ ووَسائِلُ إلى طَريقِهِ ، يُؤْخَذُ عَنْهُمْ حالُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) ، نَتَوَسَّلُ إلى اللهِ بِرِضا اللهِ عَنْهُم، لا يُخْزي اللهُ عِبادَهُ الذين أَحَبَّهُمْ، وهُوَ أَكْرَمُ الأَكْرَمينَ.

اتْرُكْ الفُضولَ وانْقَطِعْ عَنْ العَمَلِ بِالرَّأْيِ ، وَإذا أَدْرَكَكَ زَمانٌ رَأَيْتَ النَّاسَ فيهِ على ما قُلْناهُ ، فَاعْتَزِلْ النَّاسَ ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : "إذا رَأَيْتَ شُحّاً مُطاعاً ، وَهَوىً مُتَّبَعاً ، وَدُنْيا مُؤْثَرَةٌ ، وإِعْجابَ كُلِّ ذي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ".

تَخَلَّقْ بِخُلُقِ نَبِيِّكَ ، كُنْ لَيِّنَ العَريكَةِ ، حَسَنَ الخُلُقِ ، عَظيمَ الحِلْمِ ، وَفيرَ العَفْوِ، صادِقَ الحَديثِ ، سَخِيَّ الكَفِّ ، رَقيقَ القَلْبِ ، دائِمَ البِشْرِ ، كَثيرَ الاحْتِمالِ

والإِغْضاءِ ، صَحيحَ التَّواضُعِ ، مُراعِياً لِلْخَلْقِ ، راعِياً حَقَّ الصُّحْبَةِ ، مُتَواصِلَ الأَحْزانِ ، دائِمَ الفِكْرَةِ ، كَثيرَ الذِّكْرِ ، طَويلَ السُّكوتِ، صَبوراً على المكارِهِ، مُتَّكِلاً على اللهِ ، مُنْتَصِراً باللهِ ، مُحِبّاً للفُقَراءِ والضُّعَفاءِ ، غَضوباً للهِ إذا انْتُهِكَتْ مَحارِمُ اللهِ.

كُلْ ما وَجَدْتَ ، ولا تَتَكَلَّفْ لِما فَقَدْتَ ، ولا تَأْكُلْ مُتَكِئاً ، والْبَسْ خَشِنَ الثِّيابِ كَيْ يَقْتَدي بِكَ الأَغْنِياءُ ، ولا تُحْزِنْ لِجَديدِ ثِيابِكَ قلوبَ الفُقَراءِ ، وَتَخَتَّمْ بِالعَقيقِ وَنَمْ على فِراشٍ حُشِيَ بالليفِ ، أَوْ على الحَصيرِ ، أَوْ على الأَرْضِ ، قائِماً بِسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في الحَرَكاتِ والسَّكَناتِ، والأَفْعالِ والأَقْوالِ والأَحْوالِ.

حَسِّنْ الحَسَنَ ، وَقَبِّحْ القَبيحَ ، ولا تَجْلِسْ ولا تَقُمْ إلا على ذِكْرٍ ، وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ مَجْلِسَ حِلْمٍ وعِلْمٍ وتَقْوى وحَياءٍ وأَمانَةٍ ، وجَليسُكَ الفَقيرُ ، ومُؤاكِلُكَ المسْكينُ.

ولا تَكُنْ صَخَّاباً ولا فَحَّاشاً ولا تَذُمّ أَحَداً ولا تَتَكَلَّمْ إلا فيما تَرْجو ثَوابَهُ ، وَأَعْطِ كُلَّ جَليسٍ لَكَ نَصيبَهُ ، ولا تَدَّخِرْ عَنْ النَّاسِ بِرَّكَ ، واحْذَرْ النَّاسَ واحْتَرِسْ مِنْهُمْ ، ولا تَطْوِ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِشْرَكَ ولا تُشافِهْ أَحَداً بِما يَكْرَهُ.

وَصُنْ لِسانَكَ وسَماعَكَ عَنْ الكَلامِ القَبيحِ ، ولا تَنْهَرْ الخادِمَ ، ولا تَرُدَّ مَنْ سَأَلَكَ حاجَةً إلا بِها أَوْ بِما يَسُرُّ مِنْ القَوْلِ ، وإذا خُيِّرْتَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ فاخْتَرْ أَيَسَرَهُما ما لَمْ يَكُنْ مَأْثَماً ، وَأَجِبْ دَعْوَةَ الدّاعِ وتَفَقَّدْ أَصْحابَكَ وَإِخْوانَكَ ، واعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ولا تُقابِلْ على السَّيِّئَةِ بالسَّيِّئَةِ ، وقُمْ اللّيْلَ باكِياً في البابِ ، وَطِبْ باللهِ وَحْدَهُ، وكَفى باللهِ وَلِيّاً.

قَالَ إِمامُنا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ شَهِدَ في نَفْسِهِ الضَّعْفَ نالَ الاسْتِقامَةَ. وقالَ : أَرْكانُ المروءَةِ أَرْبَعَةٌ ، حُسْنُ الخُلُقِ ، والتَّواضُعُ ، والسَّخاءُ، ومُخالَفَةُ النَّفْسِ. وقالَ : التَّواضُعُ يُورِثُ المحَبَّةَ ، والقَناعَةُ تُورِثُ الرَّاحَةَ. وقالَ : الكَيِّسُ العاقِلُ الفَطِنُ المُتَغافِلُ. وقالَ : إِنَّما العِلْمُ ما نَفَعَ.

فاشْهَدْ نَفْسَكَ بالضَّعْفِ والفَقْرِ تَسْتَقِمْ ، وَشَيِّدْ أَرْكانَ المُروءَةِ تُحْسَبْ مِنْ أَهْلِها ، وتَواضَعْ واقْنَعْ تَصِرْ مَحْبوباً مُسْتَرِيحاً، وتَغافَلْ تَكُنْ كَيِّساً ، وَخُذْ مِنْ العِلْمِ ما يَنْفَعُكَ إذا أَقْبَلْتَ على رَبِّكَ ، فإِنْ الدُّنيا خَيالٌ ، وكُلُّها زَوالٌ ، واللهُ مُحَوِّلُ الأَحْوالِ.

يا أَيُّها المَغْدودُ أَنْفاسُهُ * لا بُدَّ يَوْماً أَنْ يَتِمَّ العَدَدْ
لا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ بِلا لَيْلَةٍ * ولَيْلَةٍ تَأْتِي بِلا يَوْمٍ غَدْ

إِنَّ اللهَ طَوى أَوْلِياءَهُ في بُرْدِ سَتْرِهِ تَحْتَ قِبابِهِ ، وحَجَبَهُمْ عَنْ غَيْرِهِ ، لا يَعْرِفُهُمْ

إلا هُوَ ، وهذا إِلْزامٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ في الخَلْقِ ، فَإِيَّاكَ وسوءَ الظَّنِّ بِأَحَدٍ ، إلا إذا قامَتْ لَكَ عَلَيْهِ حُجَّةٌ شَرْعِيَّةٌ. فَراعِ شَرْعَ اللهِ مِنْ دونَ انْتِصارٍ إلى نَفْسِكَ، آخِذاً بالإخْلاصِ ، مُتَجرِّداً مِنْ غَرَضِ نَفْسِكَ وَمَرَضِ قَلْبِكَ. وَقَبِّحْ ما قَبَّحَهُ الشَّرْعُ ، وَحَسِّنْ ما حَسَّنَهُ الشَّرْعُ ، ولا يَكُنْ قَوْلُكَ وفِعْلُكَ إلا للهِ. وإذا لَمْ تَقُمْ لَكَ حُجَّةٌ شَرْعِيَّةٌ على الرَّجُلِ ، لا تَأْخُذْ الخَلْقَ أَوْ تُؤاخِذْهُمْ بالشُّبُهاتِ، عَلَيْكَ بِحُسْنِ الظَّنِّ ، فَإِنَّ للهِ مَعَ الخَلْقِ مُضْمَرَاتِ أَسْرارٍ يَغارُ عَلَيْها ، لا يَعْلَمُها إلا هُوَ سُبْحانَهُ وتعالى.

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا) ، فَلْتَكُنْ وِجْهَتُكَ الْمَحجَّةَ البَيْضاءَ ، شَريعَةَ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ ، (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيَاً وَنَصِيراً).

أَبى العَقْلُ إلا إِعْقَالَ ما بَلَغَهُ بِوَاسِطَةِ الفَهْمِ ، وأَبى القَلْبُ إلا التَّرَقِّي إلى ما فَوْقَ الفَهْمِ ، فاجْعَلْ هِمَّتَكَ قَلْبِيَّةً ، وَحِكْمَتَكَ عَقْلِيَّةً تُفْلِحْ.

في الكَفِّ عِرْقٌ مُتَصِلٌ بالقَلْبِ ، إذا أُخِذَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ الدُّنْيا تَسْري آفَتُها إلى القَلْبِ ، وَهَذِهِ آفَةٌ عَظيمَةٌ مَخْفِيَّةٌ ، لا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الخَلائِقُ.

قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "حُبُّ الدُّنيا رَأْسُ كُلِّ خَطيئَةٍ". ازْهَدْ في الدُّنْيا ، وَتَباعَدْ عَنْ لَذائِذِها.

وإيَّاكَ وَنَوْمَ اللَّيلِ كالدَّابَّةِ ، فَإِنَّ للهِ في الليْلِ تَجَلِيّاتٍ وَنَفَحاتٍ ، يَغْتَنِمُها أَهْلُ القِيامِ ، ويُحْرَمُ ثَمَرَتُها أَهْلُ التَّلَذُّذِ بِالْمَنامِ. قُلْ لِلْمَغْرورِ بِأَمْنِهِ ، الْمُتَلَذِّذِ بِنَوْمِهِ، المشْغولِ عَنْ رَبِّهِ:

يا نَؤُومَ الليْلِ في لَذَّتِهِ * إِنَّ هذا النَّومَ رَهْنٌ بِسَهَرْ
لَيْسَ يَنْساكَ وَإِنْ نَسيتَهُ * طالِعُ الدَّهْرِ وَتَصْريفُ الغِيَرْ
إِنَّ ذا الدَّهْرِ سَريعٌ مَكْرُهُ * إِنْ عَلا حَطَّ وَإِنْ أَوْفى غَدَرْ
أَوْثَقُ النَّاسِ بِهِ في أَمْنِهِ * خائِفٌ يَقْرَعُ أَبْوابَ الحَذَرْ

المشاهَدَةُ حُضورٌ بِمَعْنَى قُرْبٍ مَقْرونٍ بِعِلْمِ اليَقينِ وحَقِّ اليَقينِ ، فَمَنْ حَماهُ اللهُ مِنْ البُعْدِ والغَفْلَةِ ، وَتَقَرَّبَ إلى اللهِ بِعِلْمِ اليَقينِ وحَقِّ اليَقينِ – بِمَعْنى "اعْبُدْ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ" – فَقَدْ دَخَلَ حَضْرَةَ الشُّهودِ وَهِيَ هَذِهِ لا غَيْرُ ، وإلا فالمشاهَدَةُ لُغَةً لا تَصِحُّ لِمَخْلوقٍ في هَذِهِ الدّارِ ، وَحَسْبُكَ قِصَّةُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ.

حَضْرَةُ المشاهَدَةِ لُغَةً وَمَعْنىً ، حَضْرَةٌ اخْتُصَّ بِها صاحِبُ قَوْسَيْنِ بِالقَلْبِ والعَيْنِ، والاخْتِلافُ فيها مَعْلومٌ ، واخْتِصاصُهُ بِها عِنْدَ أَهْلِ اللهِ مَجْزومٌ ، فَأَدِّبْ نَفْسَكَ بالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِما يُرْضيهِ ، تُحْسَبُ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الحَضْرَةِ ، بِنَصِ : "لا يَزالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ..." الحديث.

هُدى اللهِ هُوَ الهُدى ، وكفى بِاللهِ وَلِيّاً.

مَنْ تَمَشْيَخَ عَلَيْكَ تَتَلْمَذْ لَهُ ، وَمَنْ مَدَّ لَكَ يَدَهُ لَتُقَبِّلَها فَقَبِّلْ رِجْلَهُ ، وكُنْ آخِرَ شَعْرَةٍ في الذَنَبِ ، فَإِنَّ الضَّرْبَةَ أَوَّلُ ما تَقَعُ في الرَّأْسِ.

إذا بَغَى عَلَيْكَ ظالِمٌ ، وانْقَطَعَتْ حيلَتُكَ عَنْ دِفاعِهِ ، فاعْلَمْ أَنَّكَ حينَئِذٍ وَصَلْتَ بِطَبْعِكَ إلى صِحَّةِ الالْتِجاءِ إلى اللهِ تَعالى ، فاصْرِفْ وِجْهَةَ قَلْبِكَ عَنْ غَيْرِهِ وأَسْقِطْ مُرادَكَ في بابِهِ ، واتْرُكْ الأَمْرَ إِلَيْهِ تَنْصَرِفْ إِلَيْكَ مادةُ المدَدِ ، فَتَفْعَلُ لَكَ ما لا يَخْطُرُ بِبالِكَ ، وهذا سِرُّ التَّسْليمِ وَصِدْقُ الالتِجاءِ إلى اللهِ.

وَإِنْ ارْتَفَعَتْ هِمَّتُكَ إلى الرِّضا بِالقَدَرِ ، كَما وَقَعَ لِلإِمامِ مُوسى الكاظِمِ ، سَلامُ اللهِ عَلَيْهِ وَرِضْوانُهُ حينَ اعْتَقَلَهُ الرَّشيدُ – غَفَرَ اللهُ لَهُ – وَحَمَلَهُ مِنْ المدينَةِ إلى بَغْدادَ مُقَيَّداً وَحَبَسَهُ ، فَبَقِيَ فِي حَبْسِهِ ، فَلَمْ يُفْرِجْ عَنْهُ حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَأُخْرِجَ مَيِّتاً مَسْموماً وَقَيْدُهُ فيهِ ، وما انْحَرَفَ عَنْ قِبْلَةِ الرِّضا حَتّى ماتَ راضِياً عَنْ اللهِ ، فَتِلْكَ مَرْتَبَةُ الفَوْزِ العَظيمِ التي دَرَجَتْ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسَابٍ).

وَقَدْ انْدَرَجَ أَئِمَّةُ أَهْلِ البَيْتِ – عَلَيْهِمْ سَلامُ اللهِ وَرِضْوانُهُ – عَلَى الرِّضا الخالِصِ مَعَ قُوَّةِ الكَرامِةِ وَرِفْعَةِ القَدْرِ عِنْدَ اللهِ ، فَقَدْ صَحَّ أَنَّ عَبْدَ المِلكِ بْنِ

مَرْوانَ الأَمَوِيَّ حَمَلَ الإِمَامَ عَلِيّاً زَيْنَ العابِدينَ سَلامُ اللهِ عَلَيْهِ وَرِضْوانَهُ مِنْ المدينَةِ مُقَيَّداً مَغْلُولاً فِي أَثْقَلِ قُيودٍ وَأَغْلَظِ أَغْلالٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الزُّهْرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ ، يُوَدِّعُهُ ، فَبَكى، وَقَالَ : وَدَدْتُ أَنِّي مَكانَكَ يا ابْنَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : تَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ يَكْرُبُنِي ؟ لَوْ شِئْتُ لما كانَ ، وَإِنَّهُ لَيُذَكِّرُنِي عَذابَ اللهِ تَعالى ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ مِنْ القَيْدِ ثُمَّ أَعادَها ، فَعَلِمَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الإِمامَ حَلَّ مَنْزِلَةَ الرِّضا ، ووَصَلَ مَقامَ التَّسْلِيمِ المَحْضِ ، وَدَخَلَ حَضْرَةَ الفَوْزِ العَظيمِ ، فَطابَ صَدْرُهُ، وَسَلا حُزْنُهُ.

فَزِنْ نَفْسَكَ ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى المرْتَبَةِ العُلْيا وَهِيَ رُتْبَةُ الرِّضا فافْعَلْ ، وإلا فانْزِلْ إلى المرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ التي هِيَ مَرْتَبَةُ صِدْقِ الالْتِجاءِ إلى اللهِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ تَدْبيرِكَ وَحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وكُلِّكَ وَجُزْئِكَ ، وَهُوَ تَعالى يَفْعَلُ بِكَ بِنَصْرِهِ وَقُدْرَتِهِ فَوْقَ إرادَتِكَ وَتَدْبيرِكَ ، (وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً).

إذا هَرَعْتَ إلى اللهِ ، والْتَجَأْتَ إِلَيْهِ ، فاجْعَلْ وَسيلَتَكَ حَبيبَهُ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ تَسْليماً ، وَأَكْثِرْ مِنْ الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَيْهَ ما أَمْكَنَكَ ، وَقِفْ في بابِ اللهِ بِالعَمَلِ بِسُنَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، واسْأَلْ اللهَ سُبْحانَهُ مُعْتَمِداً عَلَيْهِ تَعالى ، مُسْتَعيناً بِهِ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ.

وإذا أُغْلِقَتْ عَلَيْكَ الأَبْوابُ ، فَتَرَقَّبْ مِنْ الفَتّاحِ فَتْحَ البابِ ، فَما سَدَّ الخَلْقُ طَرِيقاً إلا فَتَحَهُ الخالِقُ ، انْفِراداً بِرُبوبِيَّتِهِ ، تَعَزُّزاً بِأُلوهِيَّتِهِ ، فلا تَقْنَطْ مِنْ رَحْمَتِهِ ولا تَيْأَسْ مِنْ رَوْحِهِ ، وَعَلَيْكَ بِهِ ، (وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا).

التَّوْفيقِ في جَميعِ الأَحْوالِ إِنَّما هُوَ مِنْ اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى.

دَعْ هَمَّ الحَسُودِ ، فَهَمُّهُ بِكَ فَوْقَ هَمِّكَ بِهِ ، خَلِّ جَانِبَ الأَحْمَقِ فَكَدَرُكَ بِهِ فَوْقَ كَدَرُهُ بِنَفْسِهِ.

لازِمْ مَجالْسَ العُقَلاءِ ، وَخُذْ الحِكْمَةَ أَيْنَ رَأَيْتَها ، فَإِنَّ العاقِلَ يَأْخُذُ الحِكْمَةَ لا يُبالي على أَيِّ حائِطٍ كُتِبَتْ وَعَنْ أَيِّ رَجُلٍ نُقِلَتْ ، ومِنْ أَيِّ كافِرٍ سُمِعَتْ.

هَذِهِ الدُّنْيا خُلِقَت لِلْعِبْرَة ، والعِبْرَةُ بِكُلِّ ما فيها عَقْلٌ ، فَخُذْ بِقُوَّةِ عَقْلِكَ العِبْرَةَ مِنْ كُلِّ مَأْخَذٍ ، واصْرِفْ نَظَرَكَ عَنْ مَحَلِّها.

إِيَّاكَ والتَّقَرُّبَ مِنْ أَهْلِ الدُّنيا ، فَإِنَّ التَّقَرُّبَ مِنْهُمْ يُقَسّي القَلْبَ ، والتَّواضُعُ لَهُمْ مَوجِبٌ لِغَضَبِ الرَّبِّ ، وَتَعْظيمُهُمْ يَزيدُ في الذُّنوبِ.

اتَّخِذْ الفُقَراءَ أَصْحاباً وَأَحْباباً وَعَظِّمْهُمْ ، وَكُنْ مَشْغُولاً بِخِدْمَتِهِمْ ، وَإِذا جاءَكَ واحِدٌ مِنْهُمْ فانْتَصِبْ لَهُ على أَقْدامِكَ وَتَذَلَّلْ لَهُ ، وإذا وَقَعَتْ خِدْمَتُكَ لَدى الفُقَراءِ مَوْقِعَ القَبولِ فاسْأَلْهُمْ الدُّعاءَ الصّالِحَ ، واجْتَهِدْ أَنْ تَعْمُرَ لَكَ مَقاماً

في قُلوبِهِمْ ، فَإِنَّ قُلوبَ الفُقَراءِ مَواطنُ الرَّحْمَةِ وَمَواقِعُ النَّظَرِ القُدْسِيّ ، وَصَفِّ خاطِرَكَ مِنْ الرُّعوناتِ البَشَرِيَّةِ.

وَمَنْ كانَ لَكَ عَلَيْهِ حَقٌّ أَوْ لَهُ عَلَيْكَ حَقٌّ ، فَدارِهِ حَتّى يُعْطيكَ حَقَّكَ ، أَوْ إلى أَنْ تُعْطيهِ حَقَّهُ ، وَإِنْ قَدَرْتَ فَسامِحْ مَنْ لَكَ عَلَيْهِ حَقٌّ يُعَوِّضُ اللهُ عَلَيْكَ.

وَكُنْ مَعَ الخَلْقِ بالأَدَبِ ، فَإِنَّهُ أَدَبٌ مَعْ الخالِقِ.

تُبْ بِكُلِّيَتِكَ مِنْ رُؤْيَةِ نَفْسِكَ وَنَسَبِكَ وَأَهْلِكَ ، فَإِنَّ مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

قُمْ بِصِلَةِ رَحِمِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَظِّمْ ذَوي قَرابَتَهُ ، فَإِنَّ طَوْقَ مِنَّتِهِ في أَعْناقِنا ، قالَ تَعالى ، (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرَاً إِلا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى).

صَحِّحْ الحُبَّ لِجَميعِ أَصْحابِهِ رِضْوانُ اللهِ وَسلامُهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ مَصابيحُ الهُدى، وَنُجومُ الإِقْتِداءِ ، قالَ عَليه الصّلاةُ والسّلامُ : "أَصْحابي كَالنُّجومِ بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ".

خَفْ اللهَ ، خَفْ اللهَ ، رأسُ الحِكْمَةِ مَخافَةُ اللهِ.

عَلَيْكَ بِتَقْوى اللهِ فَإِنَّها جِماعُ كُلِّ خَيْرٍ ، هَذِهِ نَصيحَتي لَكَ.

أَيْ أَخي ،

أَخَذَتْني سَكْرَةُ التَّعْليمِ ، إلا أَنِّي جَرَّبْتُ الزَّمانَ وَأَهْلَهُ ، وَعارَكْتُ النَّفْسَ ، وَخَدَمْتُ الشَّرْعَ ، وانْتَفَعْتُ بِصُحْبَةِ أَهْلِ الصَّفا ، فاقْبَلْ نَصيحَتي ، فَإِنَّها إِنْ شاءَ اللهُ نَشَأَتْ بِإِخْلاصٍ عَنْ حُبٍ لَكَ.

رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ.

أَيْ عَبْدَ السَّميعِ ،

اعْمَلْ بِنَصيحَتي ، ولا تَرَني رَجُلاً ، إِنْ قَالَ لَكَ قائِلٌ أَنَّ في مَمْلَكَةِ الرَّحْمَنِ مَخْلوقاً هُوَ أَضْعَفُ مِنْ هذا اللاشَيء أُحَيْمِدَ فَلا تُصَدِّقْهُ ، بَلْ أَقولُ يَسَّرَ اللهُ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ الطَّريقَ ، وَجَعَلَنا وَإِيَّاكَ والمسْلِمينَ مِنْ المصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ والمخْلَصينَ الأَبْرارِ ، أَحْبابِ اللهِ ورَسولِهِ (وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا) والحَمْدُ للهَ رَبِّ العالمينَ.